http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1661) السنة السابعة - الاحد (22) تشرين الثاني 2009

مزالق الشيخوخة وفؤاد التكرلي

محمد سعيد الصكار

للشيخوخة مزالق لم تكن تخطر على بالنا يوم كنا بعيدين عنها . وأنا أواجه من هذه المزالق ما يثير الحرج، وخصوصاً ما يتعلق بالشك في كون هذه المادة قد نشرت أم لا، وقد اضطررتُ إلى طي بعض المواد وأنا غير واثق من نشرها . ولكن بعض المواد تناديني أحيانا وتطالبني بنشرها، ومنها هذه المادة التي عقبت بها على غياب صديقي الحميم الروائي والقاص المرموق فؤاد التكرلي، فعلى من يكون قد وقف عليها منشورة في وقت سابق أن يغفر لي إعادة نشرها إكراماً لهذه الشخصية الثقافية ذات الحضور الباهر في تاريخنا الثقافي، وتسامحاً مع شيخوختي التي حملتني على أن أضيف سطراً هنا وسطراً هناك، لأوهم القارىء بأن النص جديد عليه !

آخر لقاء لنا كان قبل أشهر في عمان، كان يبدو شديد النحافة، ويتنقّل ببطء بين محبيه، لكن خفة ظله ومزاجه الذي كان رائقاً لم يفارقه، ولم تغادره تلك الحميمية التي يُقبل عليك بها وكأنها شأن يخصك به، فيأخذ حديثكما سياقاً ناعماً هامساً تصدمه لحظات انفعالية خاطفة تزيد من دفء الموقف وحماسته.

قال إنه كان يشكو من فقدان الشهية، فعندما يتناول طعامه لا يلبث أن يقذف به بسبب انغلاق موضع في أمعائه يعرقل مرور الأكل إلى الأمعاء، وقد أخضعه ذلك إلى عملية جراحية ثقبت ثقباً في ذلك الموضع من الأمعاء جعل ما يأكله ينساب إلى الأمعاء بسهولة . صار طبيعياً .

ليس في هذا ما يثير، ولكن المثير كان في نتائج العملية التي فتحت شهيته إلى الأكل بشكل تحدّث لي عنه بفرح واستغراب، قال إنه لم يعد يلحق بشهيته، وراح يأكل وكأنه لم يذق طعاماً من قبل . وقال إن صحته توازنت وإنه في أحسن حال . فرحت بذلك وهنأته .

ثم كانت لنا أحاديث شتّى، فذلك هو شأننا عندما نلتقي. أطلعته على روايتي الأولى (فصول محذوفة من رواية بتول) فقرأها في يوم ونصف وأعجب بها وكتب لي عنها وريقة أعتز بها .

وفي هذا اللقاء الأخير، دخلنا في الأحوال الخاصة لبعضنا، وكنا نتداول شؤوننا الشخصية وكأننا نتهامس بها، ونصفي توتراتنا وهمومنا من خلال ما نفصح به لبعضنا.

كان قد سمع مني فصولاً عن حياتي الخاصة وملابساتها، وسمعت منه مثل ذلك عن حياته الخاصة خلال لقاءاتنا المتعددة، وخصوصاً لقاؤنا في دمشق، أصغى إلي باهتمام وقال لي بحماس إن في تفاصيل حياتي مادة ثرية لرواية يفكر بكتابتها؛ غمرني الفرح، فأن يكتب سيرتي برواية أمر يحق لي أن أفخر به.

ولكن فؤاد رحل فجأة، وأبقاني وحيد همومي التي أبخل بها على سواه؛ فليس كل ما يعتلج في النفس يصلح للحديث مع الناس، ولم يكن فؤاد مثل كل الناس بالنسبة لي، وهو ما أشارت إليه قرينته السيدة رشيدة التركي عندما اتصلت بها معزّياً بعد إذاعة النبأ بوفاته بدقائق، حينما قالت إنه كان يعتبرني أعزّ أصدقائه، وهذا ما أفخر به، وأحتفظ بتفاصيل ما كان يؤثرني به من تفاصيل دقيقة عن حياته الشخصية، مما يمكن أن يضيء بعض حياته ومعالمها.

منجزات فؤاد التكرلي الأدبية معروفة وشائعة، وليس من قبيل التوثيق أن أذكر ريادته في فن القصة والرواية في العراق، فقد كان أحد أعمدة هذا الفن إلى جانب عبد الملك نوري ومهدي عيسى الصقر اللذين رسّخا معه معالم الرواية العراقية التي أخذت مدارها المرموق في تاريخ الأدب العراقي، ولكنها لم تبلغ بعدها وتأثيرها في الأدب العربي المناسب، لأسباب لا تغيب عن رأي ناقد باحث متفتح يجعل للمنجزات الثقافية مكانها في دورة الثقافة العربية؛ فهناك الكثير مما لا يلحق بإنجاز فؤاد التكرلي، ويحظى بمثل قيمته، ولكنه يتجاوزه بالإعلان والدعاية والتفخيم التي هي خارج مقاسات الأدب ومنجزاته.

فؤاد لؤلؤة في قلادة الأدب العربي تنتظر من يجلوها ويفسح لها مجالاً في التاريخ الأدبي والإبداع الفني.

لا يغفل من يتحدث عن فؤاد التكرلي الإشارة إلى لطفه ودماثته وأناقته وصراحته ووعيه ونقده الدقيق النافذ لمظاهر الحياة الثقافية والإجتماعية.

يمضي فؤاد محفوفاً بكل القيم الراقية التي حملتها إنجازاته الأدبية وسلوكه الرفيع، وخسارتي فيه خسارة وطن كان ينتظر منه الكثير.

في بيتي في باريس مع يوسف إدريس وفؤاد التكرلي

نظمها إتحاد أُدباء بابل...
احتفالية لتوزيع جوائز المُفكر "عالم سبيط النيلي"

بشار عليوي

أُقيمت مساء يوم الجمعة الماضي، احتفالية خاصة لتوزيع جوائز "مُسابقة عالم سبيط النيلي الأدبية الأولى" التي نظمها الإتحاد العام للأدباء والكُتاب في بابل.

حيث بدأت الاحتفالية التي أقيمت على قاعة مركز الديمقراطية الإقليمي في مدينة الحلة، بكلمة للقاص "سلام حربه" عرجّ فيها على حياة عالم سبيط النيلي وعلاقتهِ بمدينتهِ الحلة وحبه الكبير لها.

كما أكد أنهُ قد إجترح منهجاً خاصاً به ولم يُقلد أحداً. وذكرَ أيضاً أن العدد الكُلي لجَميع المُساهمات في هذه المُسابقة بلغَ ٦٧ مُساهمة.

تلت ذلك كلمة القاص "جاسم عاصي" الذي حضرَ مُمثلاً عن الهيأة الإدارية للإتحاد العام للأدباء والكُتاب في العراق ــ المركز العام، بارك فيها الجهود النبيلة التي سعت لتنظيم هذه المُسابقة.

ثم ألقى الشاعر "جبار الكواز" رئيس إتحاد أدباء بابل، كلمة جاء فيها (بجهود فردية بحتة وبدعم الخيرين من أبناء الحلة ودونما دعم من الحكومة المحلية والمركز العام للإتحاد، تضافرت جهودنا جميعاً بُغية إنجاح المُسابقة وإيصالها لهذا اليوم). بعدها قدم مشهد من مسرحية (الأسود والأبيض) تأليف ــ سلام حربه، إخراج ــ حسام الموسوي. ثم قدّمَ الفنان "سعد العواد" تقاسيم على آلة العود.

تلا ذلك توزيع جوائز المُسابقة وكانت في أربعة محاور. المحور الأول (الشعر) حيث مُنحت الجائزة الأولى للشاعر "أحمد عبد السادة" والجائزة الثانية للشاعر "أحمد الهيتي" ومُنحت الجائزة الثالثة مُناصفة بين "مالك مسلماوي/ناصر حسين".

والمحور الثاني كان (النص المسرحي) حيث مُنحت الجائزة الأولى للكاتب "عبد علي حسن" والجائزة الثانية مُناصفة بين الكاتب "أبراهيم الجنابي" و "فليحة حسن" والجائزة الثالثة للكاتب "حسن الغُبيني".

أما المحور الثالث فكان في (القصة) حيث مُنحت الجائزة الأولى لـ "حسين مبدر الأعرجي" والجائزة الثانية لـ"حسين عبد الخضر" والجائزة الثالثة لـ"علي خصباك".

أما المحور الرابع والأخير فكان في مجال (الدراسات النقدية) ومُنحت الجائزة الأولى فيه لـ"باقر جاسم محمد" والجائزة الثانية مُنحَت لـ "محمد علي النصراوي" أما الجائزة الثالثة فمُنحت مُناصفةً بين "زهير الجبوري" و "حمد الدوخي".

يُذكر أن اللجنة التحكيمية ضمت عدداً من الأدباء والنُقاد الفاعلين في المشهد الثقافي العراقي منهم (الناقد فاضل ثامر/الناقد د. محمد أبو خضير/د.علي محمد هادي الربيعي/الناقد والقاص جاسم عاصي).

قناديل

هل تتبنى المدى عيدا للقراءة؟

لطفية الدليمي

كان البابليون يقاضون ملك البلاد كل عام في عيد القراءة خلال احتفالاتهم بالعام الجديد، مابين الأسبوع الأخير من آذار والأسبوع الأول من نيسان. يقرؤون ملحمة الخليقة ويقومون بتنصيب أحد السجناء ملكاً زائفاً لمدة يوم واحد، ويجري الكهنة والعامة محاكمة رمزية ويوقعون القصاص عليه، بينما يختفي الملك الحقيقي بعيداً عن أنظار الجموع وهي تلقي على الملك المزيف الماء والقمامة وتضربه، اعتقاداً منها أنها تطهّر روح الملك من خطاياه التي اقترفها خلال عامه الفائت ليعود صالحا لحكم البلاد من جديد.. يحاكم في جو طقوسي تهيمن عليه سلطة الكلمة السحرية المدونة شعرا أو نصا أسطورياً، والعامة تصغي، وتردد التلاوة جوقة كورال تصاحب القارئ الرئيسي، وبالكلمة يعاد تشكيل البراءة بعد تطهير الملك من رجس أحكام خاطئة أو جائرة، وبالقراءة تُستفزّ الحياة الراقدة لتقوم من سباتها الشتوي، كناية عن قيامة تموز من موته نصف السنوي.

وبالقراءة يبدأ العام الجديد على شعائر الزواج المقدس بين كاهنة تمثل إينانا، ربة الخصوبة، وبين الملك، وتبدأ طقوس الربيع وتعشر المواشي وتزدهر الحقول وتفقس البيوض وينشق طلع النخل وتتفتح براعم الخوخ وزهور التفاح..القراءة فعل رمزي للتطهر مثلما هو الرقص التعبيري الخالص الذي ينفس فيه الجسد عن احتقاناته متعالياً على ثقل مادته الأرضية وإشكالاتها مع الآخر وتعاليمه وفروضه.. كيف يعتذر المرء للعقل عن انزواء الثقافة والمعرفة أمام مدّ الفن الاستهلاكي والفضائيات التي حلّت محل المدرسة والكتاب والندوة والمحفل الفكري؟؟؟ وكيف نطهر العقل والروح من طوفان الفن التهريجي واللغو السياسي وتصريحات سدنة الجهل وفتاواهم ؟؟ ربما من المستحيل تنفيذ فكرة إيقاف البث التلفزي ليوم واحد، فلا أحد مستعد لتحمّل فداحة الخسارة المادية، ولكن أليس ممكناً إعلان عيد للقراءة، يختار فيه الناس، ولو ليوم واحد، النجاة من سطوة التلفزة والعودة الى سحر التخييل الذي تحققه قراءة كتاب..؟؟؟

في قلب مدريد مقهى شهير واسع يؤمّه المثقفون والفنانون، ويمتاز بهندسته الداخلية الباهرة والتحف الفنية التي تزيّن فضاءاته من منحوتات ولوحات لمشاهير الفنانين الإسبان، وتضيئه ثريات هائلة من الكريستال، وتقدّم القهوة والمشروبات فيه نادلات جميلات وندل مهذبون، ويجلس في أركانه شعراء وكتّاب وفنانون بغرابة أزيائهم، وشعورهم المسترسلة، منغمسون في حوارات أو منشغلون بالكتابة أو مجادلون وكلاء نشر أو منصرفون عن هذا كله إلى مغازلة عابرة أو محاورة سيدة جميلة..

من هذا المقهى تنطلق فعاليات عيد القراءة كل عام في يوم ٢٣ نيسان، يوم ميلاد كاتب اسبانيا الأبهى (سرفانتس)، يحضر أشهر أدباء وشعراء وفناني إسبانيا ويزدحم المكان بعشّاق القراءة ويشرع أحد الكتاب الكبار بقراءة رواية «دون كيخوتة» بأداء درامي ونبرات عذبة والجميع منصتون بإجلال ومتعة الى الرواية. ثم يكمل القراءة فنان شهير وشاعر وممثل، كل يقرأ فصلاً حتى يشارك في القراءة أطفال وشابات وعمال ومغنون شعبيون وراقصات فلامنكو ومطربون كبار وربات بيوت يعشقن دون كيخوتة وعجائزٌ شهدن مآسي ديكتاتورية فرانكو وفقدن أبناءً وعشاقاً وأزواجاً في الحرب. ويقرأ الجمهور، تقرأ بائعة الزهور والنادلات، ويتغيّر الجمهور ويتغيّر القرّاء في هذا المقهى والميدان المجاور، لكن القراءة تتواصل وقد يستمر الاحتفال ستاً وثلاثين ساعة، وأحيانا ثماني وأربعين ساعة، حتى تنتهي الرواية بجزأيها، وتباع مئات الآلاف من نسخها في كل مكان. وهكذا تتكرر قراءة الرواية كل عام لتتعرف إليها أجيال جديدة وقرّاء جدد.. وتقام بالمناسبة معارض للكتاب في القاعات والساحات العامة، مثلما تعرض في حافلات المترو مقاطع من الإصدارات الجديدة فصولا من روايات او قصائد باتفاق تجاري مع دور النشر الكبرى التي تسهم بتمويل شبكات النقل.

هل سنرى عيداً للقراءة في بلادنا، تُقرأ فيه كتب مثل "ألف ليلة وليلة" و"كتاب الأغاني" و "كليلة ودمنة" وملحمة "كلكامش" أو "طوق الحمامة" أو "مقامات الحريري" أو "مصنفات الجاحظ"؟ من يتصدى لإسقاط سلطة الصورة المتلفزة ليوم واحد ويحرّك بحيرة الخيال الراكدة؟؟ من يجرؤ على إلباس إمبراطور الصورة العاري رداء من حرير الكلمات؟؟ ألا يمكن لمؤسسة ثقافية راسخة كمؤسسة(المدى) ان تتبنى مشروع عيد القراءة احتفاء بالعقل والخيال.؟؟

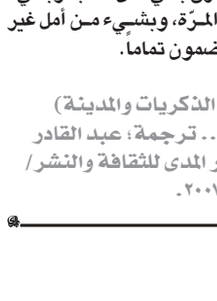

"اسطنبول" أورهان باموق.. سيرة فنان ومدينة

سعد محمد رحيم

أطلق أورهان باموق على الكتاب الذي خصصه للحديث عن مدينته وعلاقته بها اسم (اسطنبول)×. وهذا العنوان بدءاً لا يكشف لنا جنس الكتاب الذي بين أيدينا. هل سيصطحبنا المؤلف في دهاليز التاريخ، أم سيحكي عن اسطنبول المعاصرة؟ أم سيتنقل بين الماضي كما قرأ عنه ووجد آثاره، وبين الحاضر كما عاشه وخبره؟ أهو كتاب في الجغرافيا مشرّبة بعلوم الطبيعة، أم في الأنثربولوجيا؟ أم تراه سيجعل من المدينة مناسبة للخوض في إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب؟ أو ربما سيرسم بالكلمات لوحة عن المدينة كما صُوِّرت عبر عيون الرحّالة والمستشرقين في غضون بضع عشرات، أو مئات من السنين؟.

ينطوي العنوان على الرغم من بعض تجريده وكونه مباشراً (حافياً) على شيء من الغموض، أو قل على عنصر مخاتلة. لكنه في النهاية يمنحنا وعوداً خصبة، لاسيما مع اسم مؤلفه أورهان باموق الحائز على جائزة نوبل للآداب ٢٠٠٦. وحين ننتهي من قراءة الصفحات الأولى يتهيأ لنا أن باموق أسقط عامداً كلمة (أنا) التي من الممكن أن تكون معطوفة على اسم المدينة لأسباب قد لا تتعلق بالتواضع، وإنما لرغبته في أن يحلّق في فضاء الكتابة بحرية تتجاوز اشتراطات الأنا وحدودها. والكتاب في جانب منه إذن سيرة مدينة، وفي جانب آخر سيرة أنا الفنان وصورته في إطار الصورة الشاملة والمجسّمة للمدينة. وقد تنبه المترجم الأستاذ عبد القادر عبد اللي لهذه الحقيقة فأضاف كلمتي (الذكريات والمدينة) على العنوان الأصلي (اسطنبول) ليوضح للقارئ طبيعة الكتاب وتوجّه الكاتب.

نرصد اسطنبول بعيني أورهان باموق الطفل لنعيش معه متعة الاكتشاف الأول للأشياء.. الشغف بالاكتشاف مع ما يستدعيه من فضول وبراءة ودهشة. ولأن أورهان الطفل كان يفصح عن موهبة مبكرة بالرسم فقد طغى حس الفنان على رؤيته، حيث العالم يتجلى بالأسود والأبيض كما لو أننا إزاء شريط سينمائي قديم، أو في فضاء حلم. وباسترساله في تدوين سردية المدينة سينفض باموق الغبار عن بعض من أرشيفها، لا لينقل لنا شيئاً من عبق التاريخ وحسب، وإنما ليعطينا صورة بانورامية مركّبة عنها، هي مجموع ما التقطه بعين الفنان والباحث المدققة.

كان في ذهن أورهان الطفل أورهان آخر، التوأم والقرين، المستنسخ الذي يشبهه ويعيش في بيت يشبه البيت الذي يعيش فيه هو، تماماً. وفي زقاق آخر من اسطنبول. وكان يغادر نفسه ليحل محل ذلك الآخر الذي يوفر له فسحة واسعة من الحرية افتقر إليها هو.. ألا يعكس هذا قوة خيال استثنائي وعقل غض لمّاح، وروح متحفزة، تبغي التحرر من إسار المكان ومواضعاته، والانطلاق خارجاً، بكل ما في الخارج من ممكنات ومفاجآت ووعود؟.

ولم يكن السبب في هذا الهرب تعاسته الذاتية، مثلما يخبرنا، بل "لأن الحياة، وصالون البيت المتحفي وممراته وسُجّاده (أكره السُجّاد) وجمع الرجال الناضجين الفضوليين لحل الأحاجي الرياضية كانت تبعث على الضيق كثيراً، ثم زيادة الظواهر اللامعنوية، واللاحب، واللاتصوير، واللاأدب (اللاحكائية) (أنكروا هذا مع تقدمهم في السن) وامتلاء البيت بالأغراض وظلمته وبعثه على الضيق".

إذن، يحب أورهان باموق مدينته، غير أنه يضيق ذرعاً بها أحياناً.. تدهشه مناظرها الجميلة والآسرة، وآثارها المعرّضة للتلف والحرائق، وتسبب له الملل أيضاً. وشرطه الإنساني المتبدل، بفعل تبدل الظروف والأحوال يفضي إلى تلوّن مشاعره، وتحولها من السار والمفرح إلى الحزين والكئيب، وبذا يتقلب من الرضا والشاعرية إلى الحنق والغضب والسخرية. لكن، في نهاية المطاف، لا يمكن أن ينجز مثل هذا الكتاب، عن مدينة ما، سوى عاشق كبير لها. يقر باموق بأن الشعور الذي منحته إياه اسطنبول هو الحزن، هذه المدينة التي لا تضاهي، الآن، بأية حال أية مدينة أوربية كبيرة، بعد الهزيمة. وبقي يخيل إليه بأنه يعيش في مدينة ريفية كبيرة وفقيرة، فقدت من جانب آخر تعدديتها اللغوية والعرقية وأيامها المظفرة والطنانة، نتيجة سياسات التعصب القومي.. يقول: "وفرغت المدينة وتحولت إلى مكان خاو أحادي الصوت وأحادي اللغة". فيما التأرجح بين التغريب والحياة التقليدية جعلت من كل شيء في اسطنبول ناقصاً وغير كاف وغير مكتمل. لعلّه لهذا سيطرت عليه فكرة ـ مثلما حصل مع بقية الاسطنبوليين ــ بأنه ليس هنا (في مكانه) بالكامل، وليس غريباً فيه بالكامل.

لمدة طويلة، رغب أورهان باموق أن يكون رساماً.. هذا الولع جعله يتجول متسكعاً في أحياء اسطنبول وشوارعها وأسواقها وحاناتها وحدائقها ومقابرها، ويمعن النظر في البوسفور (أمواجه وأنواره ومراكبه) فامتلك دقة الملاحظة، والقدرة على تشرّب التفاصيل المرئية وتمثلها. فتكونت عنده ذاكرة بصرية غنية ومرهفة، مفعمة بخيال خلاق ستعينه فيما بعد حين يودع الرسم ويمتهن الكتابة..

خاض باموق صراعاً ضارياً مع نفسه وعائلته، بالأحرى مع أمه، حول خياراته في الحياة (هل سيكمل دراسته في العمارة ويحصل على الشهادة الجامعية، أم سيتفرغ للرسم؟) وقد حذرته أمه بغضب، وإلى حد الاستفزاز من عواقب أن يصبح رساماً في بلد مثل تركيا لا تقدّر الفنانين كما هو الأمر في أوروبا، وإنما تستهين بهم وتحقرهم. وكان هذا الصراع يأخذ شكل شجار يومي فيهرب الشاب ليتسكع في الأزقة شبه المعتمة أو على ضفاف البوسفور، أو يرتاد الحانات، يدخن ويشرب الخمر. وأخيراً، ذات يوم، وهو في العشرين من عمره، سيفاجئ أمه، وربما ذاته أيضاً، بهذه العبارة الحاسمة: "لن أغدو رساماً.. سأكون كاتباً".

حتى وهو يكتب عن نفسه (طفولته وعائلته ومدرسته وقصة حبه الأول) كانت اسطنبول تفرض حضورها، لا خلفية للحدث فحسب، بل إطاراً شاملاً يتضمن تفاصيل الأحداث المتتابعة وكأنها جزئيات من مشهد المدينة الكبير. وهذا الكتاب من زاوية ما، ليس سوى تطور نظرة فنان إلى العالم مذ يفتح عينيه، ويجمع في حافظته من خلالهما كل ما يدور حوله، وحتى مرحلة تجاوزه سن المراهقة وبلوغه العشرين من العمر. وهكذا كتب عن اسطنبول، كما لو أنها العالم، أو أنها المدينة الوحيدة في هذا العالم.. ليست هناك إشارات قوية وواضحة إلى مدن أخرى، أو مقارنات من أي نوع معها. وحتى حين يتكلم عن رحالة ومغامرين، يُظهرهم كما لو أنهم قادمون من كوكب آخر. فاسطنبول هي محور كل شيء ومرآته، والوجود الإنساني الذي لا يتحقق إلا في حدود مكان يكون هنا اسطنبول لا غيرها. و

هو أبداً متحيز لمكانه ذاك، يحاول إخفاء تحيزه تحت وابل من التعليقات والانتقادات اللاذعة، والتي في النهاية لا تنال من قيمة المكان بقدر ما تنال من سلوك وأخلاق بعض ساكنيه. وهو لا يزدري أبداً بقدر ما يؤلمه ويحزنه أن الوضع فيها ليس على ما يرام، أو مثلما يشتهي.

فقدت اسطنبول المتروبولية سطوتها بعد انهيار الإمبراطورية وتدشين عهد التغريب. وكان كل شيء يتحول بطريقة قاسية، وليس من غير ثمن. وبدا أن التاريخ ينعطف ويتخلق في أحبولة سرد مغاير. وكان لابد من تقبل الخسارة قبل المضي قدماً بعد أن غدت استعادة المفقود وهماً. وبذا فإن مجمل أدب باموق متشرب بالأسى، يحكي عن الانكسار والتمزق بشيء من الكآبة وبشيء من السخرية المرّة، وبشيء من أمل غير راسخ، وغير مضمون تماماً.

× (اسطنبول: الذكريات والمدينة) أورهان باموق.. ترجمة: عبد القادر عبد اللي.. دار المدى للثقافة والنشر/ دمشق ـ ط١/ ٢٠٠٧.

اورهان باموق